دور الخدمة الاجتماعية في نشر الثقافة البيئية

إعداد: الطالبة خروبي فريدة ،قسم العلوم الاجتماعية جامعة قالمة

تمهيد:

البيئة هي الوسط الذي يعيش فيه الإنسان و يحصل منه على مقومات إشباع حاجاته و متطلباته، تاريخيا ظلت علاقة الإنسان ببيئته علاقة متوازنة مكنته من العيش المريح، و للبيئة التجدد و الاستمرار إلى أن جاءت الثورة الصناعية حيث أدى التقدم الصناعي و التكنولوجي إلى تكثيف النشاط الإنساني في البيئة مما تسبب في تدهورها والإخلال بتوازنها و أفقدتها القدرة على التجدد التلقائي، فظهرت مشكلات بيئية حادة كالتلوث بمختلف تجلياته، استنزاف الموارد الطبيعية، خسارة التنوع البيولوجي،.....الخ.

و هكذا فالتدخل غير الرشيد للإنسان في البيئة وضعه في مواجهة حتمية مع هذا الاضطراب و هو ما عرف بحماية البيئة التي أصبحت اليوم من أبرز التحديات الحضارية و الصحية و الاجتماعية لأي مجتمع إنساني، إذ لا سبيل لتحقيق النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة إلا بواسطة الطاقات البشرية المنتجة، الأمر الذي يتطلب بيئة نظيفة غير مستنزفة.

فالأزمة البيئية التي يشهدها العالم اليوم هي بالدرجة الأولى ظاهرة سلوكية مرضية تستلزم وعيا بالبيئة، و تعديلا للسلوك الإنساني و اتجاهاته نحوها ، هذا التغيير في السلوكيات و الممارسات و الاتجاهات يمكن أن تضطلع به مهنة الخدمة الاجتماعية باعتبارها مهنة مساعدة تسهم في نشر ثقافة البيئة، و تنمية الوعي البيئي عبر مناهجها الثلاثة، خصوصا طريقة العمل مع الجماعة، و طريقة تنظيم المجتمع، و هو الموضوع الذي تتمحور حوله مداخلتنا الموسومة : (دور الخدمة الاجتماعية في نشر الثقافة البيئية) و الذي سنتناول فيه بالعرض و التحليل و المناقشة الإسهام الذي يمكن أن تقدمه الخدمة الاجتماعية في مجال نشر الثقافة البيئية، لحماية البيئة من التدهور و الاستنزاف عبر مناهجها الثلاثة خصوصا طريقة العمل مع الجماعة و طريقة تنظيم المجتمع، بعد ضبط و تحديد المفاهيم الأساسية في هذه المداخلة مثل مفهوم الثقافة البينية، الوعي البيئي، و الخدمة الاجتماعية البيئية.

1- تحديد المفاهيم الأساسية:

- **مفهوم الثقافة البيئية:**

تعرف الثقافة البيئية بأنها " نوع من التعليم غير النظامي غير المدرسي، يستهدف خلق الوعي البيئي أو التوعية البيئية، و خلق رأي عام واع بقضايا البيئة" (1)

و بالتالي فالثقافة البيئية تعليم غير رسمي يهدف إلى غرس قيم الحفاظ على البيئة، من خلال تحسيس الأفراد و المجتمع بأهمية البيئة.

و هكذا فالثقافة البيئية هي عملية تربوية مستمرة ترتبط بكل مراحل عمر الإنسان من خلال التعليم غير الرسمي.

أنها تهدف إلى التوعية و التحسيس و التثقيف البيئي عن طريق نشر الأخلاق البيئية في المجتمع.

أنها تسعى إلى فهم أساسيات التفاعل بين الإنسان و البيئة.

أما الوعي البيئي الذي هو هدف أساسي للثقافة البيئية فيعرف بأنه: " عملية إعداد الأفراد و الجماعات لاكتساب المعرفة البيئية بغرض تكوين اتجاهات ايجابية نحو البيئة، وترجمتها من خلال السلوكيات الممارسة نحوها بالمحافظة عليها و استغلال مواردها بطريقة رشيدة و عقلانية " (2).

و يرتبط بمفهوم الوعي البيئي بمفهوم أخر لا يمكن المرور دون الحديث عنه و هو مفهوم التربية البيئية التي تعرف بأنها: عملية إعداد الإنسان للتفاعل الناجح مع بيئته الطبيعية بما تشمله من موارد مختلفة، و تتطلب هذه العملية، العمل على تنمية جوانب معينة لدى المتعلم، منها توضيح المفاهيم و تعميق المبادئ اللازمة لفهم العلاقات المتبادلة بين الإنسان و ثقافته من جهة، و بينه و بين المحيط البيوفيزيقي من جهة أخرى ..... كما تتطلب أيضا تنمية المهارات التي تمكن الإنسان من المساهمة في تطوير ظروف هذه البيئة وتستلزم التربية كذلك تكوين الاتجاهات و القيم التي تحكم سلوك الإنسان

إزاء بيئته وإثارة ميوله واهتماماته نحو هذه البيئة وإكسابه أوجه التقدير لأهمية العمل على صيانتها و المحافظة عليها" (3) .و نستخلص من هذا التعريف أن التربية البيئية ترتكز على التعليم النظامي أو الرسمي كما تقتصر على مراحل الإعداد العلمي في سنوات الدراسة الرسمية، في حين أن الثقافة البيئية تمثل جوانب التعليم غير الرسمي، و تمتد عبر مراحل العمر المختلفة و لذلك فالثقافة البيئية أوسع و أشمل.

أما مفهوم الخدمة الاجتماعية البيئية فيشير إلى ذلك التخصص النوعي الذي يندرج ضمن مهنة الخدمة الاجتماعية، تهتم الخدمة الاجتماعية البيئية بتنمية العلاقات الايجابية بين الإنسان و البيئة، و تفعيل دور السكان في تحسين ظروف البيئة من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ومراكز تنمية المجتمعات المحلية، و التنظيمات البيئية التطوعية المهتمة بحماية البيئة، ومجال اهتمامها المشكلات البيئية كالتلوث و التصحر، ندرة الموارد المائية، الانفجار السكاني، و غياب الوعي البيئي....الخ (4).

2- دور الخدمة الاجتماعية في نشر الثقافة البيئية:

لما كانت عملية نشر الثقافة البيئية عملية تتطلب إحداث تغيير في السلوكيات والممارسات، فإنه بإمكان مهنة الخدمة الاجتماعية استيعاب هذا التغيير عن طريق الفعل التوعوي و التحسيسي للأفراد و الجماعات و تزويدهم بالمعارف و القيم و الخبرة، و بالإرادة التي تمكنهم من مواجهة المشكلات البيئية.

فالخدمة الاجتماعية، انطلقت في مسيرتها التاريخية من العلاقة بين الإنسان و البيئة و مستقبل المهنة مرهون بموقفها من هذه العلاقة خاصة و أن علاقة الإنسان بالبيئة ليست علاقة ثابتة جامدة، و لكنها متغيرة متحركة تستجيب لكل ما يلحق من تغيرات بطرفي العلاقة (5).

ففهم البيئة في الخدمة الاجتماعية يأخذ بعين الاعتبار الجوانب الطبيعية و الجوانب الاجتماعية، أو بمعنى أخر البيئة الطبيعية و البيئة الاجتماعية، و العلاقات بينهما من ناحية، و بينهما وبين النمط الثقافي السائد من ناحية أخرى. لذا تتسع معارف الخدمة الاجتماعية لتشمل خصائص البيئة الطبيعية لما لها من آثار على حياة الناس، و على تكيفهم مع تلك العلاقة.

و الواقع أن البيئة الطبيعية مثلها في ذلك مثل البيئة الاجتماعية تتأثر بنمط الثقافة السائد، بما تشمله الثقافة من قيم و معايير، و عادات و أعراف ، و معارف و معتقدات، إذ تتدخل كل هذه العناصر الثقافية في أساليب تعاملنا مع البيئة الطبيعية (6).

و هكذا فالخدمة الاجتماعية من أكثر المهن ارتباطا بالبيئة و عناصرها، فهي تهتم بالإنسان و بيئته بغية إيجاد علاقة متوازنة بينهما سواء كفرد أو كعضو في جماعة أو كعضو في المجتمع.

و عليه تتطلع مهنة الخدمة الاجتماعية إلى تحقيق جملة من الأهداف في المجال البيئي أبرزها (7):

- نشر الوعي البيئي بين الأفراد و الجماعات و المجتمعات.
- نشر المعرفة البيئية.
- اكتساب الإنسان الاتجاهات البيئية الايجابية.
- اكتساب الإنسان المهارات لمواجهة المشكلات البيئية.
- القدرة على التقييم.
- تعميق مفهوم المشاركة البيئية لدى الإنسان.

تؤمن الخدمة الاجتماعية بقابلية الإفراد للتغيير إذا أتيحت لهم فرص المساعدة المهنية لهذا التغيير وهذه المساعدة تقدمها الخدمة الاجتماعية عن طريق مناهجها الثلاثة و هي خدمة الفرد و خدمة الجماعة و تنظيم المجتمع.

أ- خدمة الفرد في مجال نشر الثقافة البيئية و حماية البيئة:

" هي عملية تمارس في مؤسسات اجتماعية لمساعدة الأفراد على المواجهة الفعالة للمشكلات التي تعوق أدائهم الاجتماعي " (8)

و عليه فخدمة الفرد كطريقة من طرق الخدمة الاجتماعية ترتبط بما يدور في البيئة من تطورات و تعمل على مواجهة مشكلات البيئة، و مساعدة الأفراد على تحمل المسؤولية وأداء الواجبات مع مراعاة إمكانيات الأفراد على تحمل المسؤولية و أداء الواجبات مع مراعاة إمكانيات البيئة، و تكوين اتجاهات

ايجابية، مما يساعد على التعامل الواعي مع البيئة، و ترشيد استخدام مواردها، و المحافظة عليها بما يساهم في الحفاظ على توازنها.

و من الآليات التي تعتمدها خدمة الفرد في تعديل سلوك العملاء لموائمة البيئة مايلي:9

●طرق التدعيم الايجابي: تعتمد هذه الطرق على تقديم الحوافز المادية والمعنوية لمساعدة العملاء على تعديل سلوكهم و يقسم أسلوب التدعيم الايجابي إلى قسمين:

– استخدام طرق التدعيم الايجابي في تحسين البيئة: كقيام الأخصائي الاجتماعي بتشجيع العملاء على القيام بالحملات التطوعية بين الطلاب في المدارس، ومراكز الشباب، و المؤسسات الدينية و الاجتماعية للمساهمة في التشجير و حملات النظافة و جمع القمامة و هذا الأسلوب غير مكلف و له دور كبير في تحسين البيئة، ورفع مستوى الوعي البيئي لدى العملاء.

– استخدام أسلوب التدعيم الايجابي للحد من الآثار السلبية: و يقوم هذا الأسلوب على تشجيع الأخصائي الاجتماعي للعملاء على تقليل و ترشيد استخدامهم للطاقة والموارد المائية ،التقليل من استخدام الأكياس البلاستيكية....الخ.

فالتدعيم الإيجابي يؤدي إلى قيام الأفراد بتغيير سلوكاتهم لمقابلة المشكلات البيئية.

- طرق التدعيم السلبي و العقاب: و من الأمثلة على هذا الأسلوب منع السيارات التي تساهم في تلويث الهواء و الضوضاء من السير في الطرق، و كذا سحب تراخيص السيارات التي ينتج عنها أدخنة ملوثة للبيئة.
- طرق التغذية الراجعة: يقوم هذا الأسلوب على إعلام العملاء بنتائج أدائهم، وتستخدم هذه الطريقة مع الحوافز كتشجيع منطقة معينة على ترشيد الاستهلاك المائي أو الكهربائي أو المحافظة على نظافة المحيط مع تقديم بيان لهم كل شهر عن تقدمهم في العمل أو استخدامهم للطاقة.

و هذه الإلية تساهم في زيادة الأداء و التحكم في السلوك المضاد للبيئة، و ترشيد السلوك البيئي، و يمكن استخدام أكثر من آلية في أن واحد بما يتناسب و الموقف.

- **<u>تعديل البيئة لموائمة السلوك:</u>**

تتضمن هذه الطريقة قيام الخدمة الاجتماعية يدور في البيئة من خلال تعديل أو تغيير أو تكييف المعالم البيئية كي تلائم السلوك الإنساني، و جعل البيئة أكثر استجابة للحاجات الإنسانية، و تحسين بيئة العمل مثال على ذلك ، حماية العمال من ظروف العمل البيئية كالضوضاء والحرارة و الرطوبة، كذلك توفير الأمن الصناعي كوقاية العمال من المعادن المشعة و المواد الكيميائية....الخ.

و على خدمة الفرد انتقاء عملائها بدقة عند العمل في مجال البيئة و إلا أصبحت وسيلة لهدر الوقت والمال، لأنه من غير الممكن أن تتعامل مع جميع أفراد المجتمع المحلي فردا، فردا لتعديل سلوكهم نحو البيئة أو تعديل اتجاهاتهم من خلال دراسة معمقة و عشرات الجلسات لأن ذلك غير نافع و غير واقعي، و ذلك على عكس طريقة تنظيم المجتمع التي يمكن لها من خلال المجتمع المحلي أن تكون أكثر فاعلية بأقل وقت ومجهود من خدمة الفرد و خدمة الجماعة.

ب- <u>دور خدمة الجماعة في مجال نشر ثقافة البيئة و حمايتها:</u>

إذا كان الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين فهو عضو في جماعات منذ الولادة و حتى الموت، سواء كانت هذه الجماعات اختياريه أو إجبارية فهو يعيش و يعمل و يلعب داخل جماعات تشبع احتياجاته المختلفة (10).

تعمل طريقة خدمة الجماعة على مساعدة الأفراد من خلال الجماعة على النمو الاجتماعي ،وحسن تكيفهم، وزيادة أدائهم الاجتماعي من خلال ممارسة البرامج و الأنشطة الجماعية المتعلقة بالبيئة كالتعرف على البيئة التي يعيشون فيها و اكتشاف مصادرها وترشيد استخدام مواردها، و المشاركة في حل مشكلاتها.

و محتويات البرامج في خدمة الجماعة تدور حول الترويح و استغلال وقت الفراغ بما يفيد الجماعة، لذا يمكن التركيز على أنشطة خاصة بالبيئة و قضاياها من خلال هذه البرامج.

استخدام المسابقات المختلفة بين الجماعات مع بعضها البعض حول المواضيع البيئية مثل عوامل تلوث الماء و الهواء و أثار كل منهما، و كيفية الحد من هذه الملوثات مع منح جوائز تشجيعية لزيادة الحماس و الاطلاع.

-استعمال أسلوب لعب الأدوار في القيام بعرض مواضيع خاصة بالبيئة و مشكلاتها، مثل مشكلة التعاون بين الدول الصناعية و الدول المتخلفة فيما يتعلق بالتنمية المستدامة.

-الاستعانة بالمعسكرات الجماعية لخدمة البيئة خصوصا في المجتمع المحلي مثل حملات التطوع لتنظيف الأحياء، أو حملات التشجير، أو إقامة الحدائق.... إلخ.

القيام برحلات جماعية للتعرف على البنية و أبرز مشكلتها كزيارة الأماكن المتضررة من التلوث للوقوف عن آثار هذه المشكلة عن قرب.

إقامة المعارض سواء الثابتة أو المتنقلة لإثارة الاهتمام بالمشكلات البيئية، و آليات حمايتها.

-استخدام المناقشات الجماعية من خلال اجتماعات الجماعة في التوعية بالمشكلات البيئية و كيفية مواجهتها و الوقاية منها.

- إقامة الندوات و الملتقيات و دعوة الخبراء و المتخصصين لمناقشة أعضاء الجماعة و نشر الثقافة البيئية (11).

و يرى السيد فهمي بأن العمل مع الجماعات هو جزء من العملية التربوية التي تحقق من خلالها أهداف المجتمع في أحداث تغيرات مرغوبة في الأفراد للمحافظة على البيئة.

ج- **<u>دور طريقة تنظيم المجتمع في نشر ثقافة البيئة و حمايتها</u>**:

تتعامل هذه الطريقة مع المجتمع ككل بما يضمه من أجهزة و مؤسسات و أنظمة، وتتضمن طريقة تنظيم المجتمع عملية مساعدة المجتمع على اكتشاف حاجاته و تحديدها وحشد الجهود و الموارد و الإمكانات لإشباع هذه الحاجات، و إثارة أفراد المجتمع وجماعاته و هيئاته و مؤسساته إلى بذل الجهد من أجل إشباع هذه الحاجات.

تهدف هذه الطريقة إلى إحداث تغيير مجتمعي منظم و مقصود مع متابعته وتقويمه، بالاعتماد على أخصائي تنظيم المجتمع ذو الخبرة في المجال البيئي.

– تعتمد طريقة تنظيم المجتمع على استثارة و تشجيع المواطنين على المشاركة في حماية البيئة، إذ تعد المشاركة من أهم الميادين بالنسبة للممارسة، فنجاح أي مشروع من مشاريع البيئة.

– يعتمد أساسا على مشاركة الناس الذين هم مصدر أساسي في المشكلات البيئية و تعود عليهم أيضا الآثار الضارة لهذه المشكلات لذلك تعمل الطريقة على إتاحة الفرصة لمشاركة أكبر عدد ممكن من المواطنين في المجتمع المحلي في برامج العمل حتى تضمن الحفاظ على انجازات تلك البرامج البيئية خاصة و أن الناس عندما يشاركون في تحقيق انجازات بأنفسهم فإنهم يشعرون بملكيتهم لتلك الانجازات و بالتالي يحافظون عليها و يتقبلون الأخطاء و يواجهون العقبات و يعملون على صيانة تلك الإنجازات الأمر الذي يعني استمرارية التنمية (13) .

– و المشاركة تشمل مختلف مراحل العمل البيئي التوعوي و التحسيسي و التنموي من دراسة المشكلات البيئية و تحديد أسبابها إلى تشكيل اللجان من أهالي المجتمع والقيادات و تحديد الأدوار إلى توزيع المسؤوليات الخاصة بالعمل البيئي مع التشجيع والتدعيم لكسب التأييد من الجهات المهتمة بقضايا البيئة و يمكن تحديد الخطوات الأساسية لممارسة العمل الاجتماعي في إطار حماية البيئة فيما يلي:

– وجود موقف بيئي غير مرغوب مثل تضرر الموطنين من نفايات خاصة بأحد المصانع مع رغبة السكان في تغيير هذا الوضع، و عادة تنشأ هذه الرغبة أكثر عند الأكثر تضررا من مشكلة بيئية و إحساسا بها.

– الوعي الاجتماعي بين المواطنين بأخطار بعض المشكلات البيئي و ذلك باستخدام وسائل الاتصال المسموعة و المرئية و المكتوبة لجمع أكبر عدد من السكان الذين لديهم الرغبة في العمل المشترك لأحداث التغيير.

– <u>التنظيم و التنسيق :</u> للتغلب على العراقيل و الصعوبات و الخلافات بين جماعات المجتمع و استثمار جهودهم في المجال البيئي.

- تكوين تنظيم يتولى حل المشكلة أو الموقف البيئي غير المرغوب.
- جمع قاعدة من البيانات و المعلومات حتى يمكن تحديد المشكلة بدقة، و تشمل تلك البيانات المتأثرين بالمشكلة و الوسائل الممكنة لحل المشكلة و الجهات التي تملك إحداث التغيير.
- كسب تأييد الرأي العام لمساندة أهداف العمل الاجتماعي البيئي.
- القيام بمواجهة المشكلة بالاعتماد على الجهود الذاتية ثم مطالبة الجهات المسئولة باستكمال مالم يقدر عليه الأهالي بإمكانياتهم المجتمعية.
- المتابعة و التقييم: كي يتم تحقيق التغيير الاجتماعي البيئي (14).

و يمكن للأخصائي الاجتماعي أن يقوم بالتخطيط ووضع البرامج و التنسيق بين الجهود الحكومية و الشعبية و استثارة السكان للمشاركة في حماية البيئة.

الخاتمة:

ما يمكن استخلاصه في نهاية هذه المداخلة هو أن قضية نشر الثقافة البيئية التي هدفها الأساسي نشر الوعي البيئي، و خلق المعرفة البيئية الأساسية بغية بلورة سلوك بيئي ايجابي و دائم، تبقى سلوك حضاري لا ينفصل عن الحراك الشامل الذي يقوم به الفرد و المجتمع.

كما أنه بإمكان مهنة الخدمة الاجتماعية الإسهام في نشر الثقافة البيئية من خلال طرقها المعتمدة و التكامل بينها ، وتختص طريقة تنظيم المجتمع دون غيرها بهذه القضية المجتمعية، كما يساعد الأخصائي الاجتماعي في رسم إستراتيجيات التدخل، و تقييم البرامج و يستثير المجتمع للمشاركة في الجهود الرامية إلى المحافظة على البيئة و تنميتها.

الإحالات:

(1)- حسين مصطفى غانم، الإسلام وحماية البيئة من التلوث،جامعة أم القرى،مصر،1997،ص227

(2)- محمد عبد الرحمان فهد الدخيل، مجلة تعليم الجماهير، تصدر سنويا عن المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، العدد 47، سنة 2000،ص56

(3)- صبري الدمرداش إبراهيم، التربية البيئية معنى و أهدافا و نموذجا و تحقيقا، دار الثقافة، القاهرة 1981، ص 18.

(4)- خليل المعايطة و آخرون، مدخل إلى الخدمة الاجتماعية، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2000، ص 132.

(5)- الفاروق زكي يونس، مفهوم البيئة في الخدمة الاجتماعية(دراسة في نظرية الممارسة)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الكويت، المجلد 13، 1995، ص114

(6)- المرجع السابق ص115

(7)- محمد السيد عامر المشاركة الاجتماعية لحماية البيئة من منظور الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2002، ص 260.

(8)- محمود حسن، مقدمة الخدمة الاجتماعية ، دار النهضة العربية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، دون سنة، ص 52.

(9)- عصام توفيق قمر و سحر فتحي مبروك، نحو دور فعال للخدمة الاجتماعية في تحقيق التربية البيئية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2004، ص258.

(10)- محمد السيد فهمي، طريقة العمل مع الجماعات بين النظرية والتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الجزء الأول (المدخل)، 2005، ص 277.

(11)- مرجع سابق ص-ص 258-259.

(12)- جابر عوض سيد حسن، الإنسان و البيئة من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2001، ص-ص 240-243